

النقد التفكيكي عند جاك دريدا منهج بناء أم آلية هدم
The Deconstructive Criticism of Jacques Derrida is a
Constructive Approach or a Demolishing Method

فايزة لحياني

جامعة أحمد دراية- ادرار (الجزائر)، adrarfaiza@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/06/09 تاريخ القبول: 2023/06/14 تاريخ النشر: 2022/06/16

ملخص: ارتبطت القراءة النقدية التفكيكية باسم الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا، الذي عرف بغزارة كتبه وتعددتها وتقوم عملية التفكير على قراءة النصوص وتأمل الطريقة التي يتم من خلالها إنتاج معانيها ومدلولاتها والكشف عن التناقض الموجود فيها. ويمكن اعتبار التفكيكية مدرسة تقويض الحداثة، والثورة على التقاليد الحداثية للنصوص والتشكيك بكل أفكارها، حتى تظهر كأنها هدم لقيم الحداثة. ينظر إلى التفكيكية على أنها منهج خطير في النقد، ذلك لأنها تنطلق من زعزعة استقرار في كل يقين حيث بدأت بالتشكيك في العلم، ليتنقل بعدها التشكيك في كل شيء، في العلاقة بين الدال والمدلول والمعنى المتولد عنهما، شككت في كل تأويل للنصوص، حيث أقصت اللغة والمؤلف. ومن ثم جاء اختياري لهذه الدراسة الموسومة بالتفكيك عند جاك دريدا، هل هو بناء أم هدم؟.

الكلمات المفتاحية: التفكيكية؛ التشكيك؛ هدم؛ زعزعة؛ إقصاء.

Abstract :

Critical reading is associated deconstruction in the name of the French philosopher Jacques Derrida, who was know for the abundance of his books and their multiplicity the process of deconstruction is based on reading texts and reflecting on the way in which their meanings are produced and its meaning and the disclosure of the contradiction in it. And can be considered deconstruction the school of undermining modernity, and the revolution against tradition modernism for text questioning all its ideas, until it appears as if it is a demolition of the values of modernity looking at deconstruction it is a dangerous approach in criticism, because it starts from destabilizing every certainty, as it started by questioning science, then signifier and the meaning generated by them. It questioned every interpretation of texts, as it excluded the language and the author, hence my choice for this study marked by jacks Derrida deconstruction it building or discredit demolishing?

Key words: Deconstruction; discredit; demolish; upset; exclusion.

انبثق التفكيك من رحم البنيوية نفسها كنقد لها، وانصب على مشكلات المعنى وتناقضاته ليزعزع فكرة البنية الثابتة. وهكذا برزت التفكيكية من خلال اصطدام فكر ما بعد البنائية بالذات بالنقد الأمريكي الجديد. وعلى الرغم من أن القراءات التفكيكية تشكك في كل من المنهج والنظام، فإنها تقوم على حجج صارمة وقاطعة (العراي لخضر، 2007، صفحة 182).

يعد النقد التفكيكي من النظريات الغربية التي برع فيها جاك دريدا وغيره من النقاد الغربيين، فهو واحد من أهم فلاسفة أوروبا المعاصرين إلى جانب جون بول سارتر Jean-Paul Sartre وميرلوبونتي Maurice lette-Ponty وميشيل فوكو Michel Foucault والتوسير Louis Pierre Althusser وجاك لاكان Jacques Lacan، ومعظم فلسفات هؤلاء كانت تقوم بنقد التفكير الوثوقي، وتعيد النظر في بناء مفهوم الحقيقة، كما عملت على مراجعة مفهوم التاريخ ومركزية الوجود الذاتي، لتسهم بذلك في خلخلة ما يسمى بالمركزية الغربية المشيدة على الثقة الكاملة في القيم المثالية والعقل والعلم (حميد حميداني، 2012، صفحة 193).

تزامن ظهور هذا الفكر المتمرد مع واقع جغرافي يحاول أن يتحسس وجوده بعيداً على هذه المركزية التي تحكم في العالم مدة طويلة من الزمن، وهو ما عمق شعور الغرب بأن قيمة التقليدية باتت موضع تساؤل من الداخل والخارج على حد سواء (جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، د.ت، الصفحات 24-25).

تعد التفكيكية Deconstructivisme آلية لتعرية هذه المركزية في صميم مبادئها الميتافيزيقية والعقلانية والعرقية، إذ كان الغرب ولا يزال متحصن فرادة وجوده وعقلانيته، لا يفعل إلا بذاته ولا يشعر أنه بحاجة إلى ما هو خارج عن كيانه الخاص (جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، د.ت، صفحة 26).

يتمثل المصدر الفلسفي للتفكيكية في كل من جاك دريدا الذي أسس التفكيكية كمقارنة للنصوص ونقد لها، وبول ديمان Paul Deman الذي يعد الآن شارحها الأمريكي الأول، وذلك على الرغم من أن رولان بارت هو الذي بدأ، في الستينيات، حركة التفكيك بطريقته الحادة في إثارة الأسئلة، ومقارنة التصورات من جوانب كثيرة للكشف عن تعدد المعاني واختلافها.

كانت انطلاقة التفكيكية مع جاك دريدا في النقد الفرنسي من خلال مجلة (تل كل telquel) وهي مجلة أدبية "كانت تعنى بإشكاليات النقد البنيوي والسيمولوجي وما أنجر عنهما، لكن الانطلاقة الحقيقة عند دريدا في التأسيس للقراءة التفكيكية كانت مع إصداره لكتابه "في النحوية"، la grammatologie، سنة

1967، وفيه حاول تقويض أركان الفكر الغربي من أفلاطون وأرسطو حتى أيام هيدجر وليفي ستراوس Claude Lévi-Strauss ودي سوسير Ferdinand de Saussure، متهما هذا الفكر بما نعت به "التمركز المنطقي" الذي يركز على "المدلول" حتى تنحسر الهوة بين الدال والمدلول، والمفهوم بالمرجع، وبذلك زعزعة للتمركز المنطقي للسان الغربي، بل إلغاء لمفهوم الدال باعتباره مفهوماً ميتافيقياً، ودعا دريدا إلى بديل أسماه "علم النحو كأساس لعلم الكتابة، جاعلاً من "علم النحوية" بديلاً للسيمولوجيا التي بشر بها دي سوسير" (محمد بلوحي، 2002، صفحة 121). وهكذا وجد التيار التفكيكي أنصاراً يمارسونه في الفلسفة والفكر والأدب بغية خلخلة المفاهيم القارة ووضعها موضع التساؤل.

1- ماهية التفكيكية:

إن التفكيكية مشروع قراءة جديد، تمرد على كل ما هو مألوف من تقاليد فكرية، وعلى هذا الأساس فالتفكيكية وبتصريح من أحد أعلامها ومؤسسيها جاك دريدا (Jacques derrida) ليست نظرية ولا منهجاً، بل هي استراتيجية قراءة خاصة ومميزة للخطاب بمختلف أنواعه، ويتم ذلك بتدمير النصوص الإبداعية من الداخل للوصول إلى البؤرة الكامنة في عمقها (بسام قطوس، 2006، صفحة 143).

فالتفكيكية تنظر إلى النص على أنه كتلة غامضة لا بد أن نفجرها من الداخل لنكشف عن جوهرها الكامن في مركزها، ومن هنا يأتي سبب تسميتها بتفكيكية والتي تعني في المصطلح الأجنبي لفظة (Déconstruction) وهي مناقضة للفظ (construction) . وهو مصطلح يدل من ناحية على الهدم (destruction) والتشريح، وهي دلالات تقترب بالجانِب المادي أو المرئي، كما أنه يدل من ناحية أخرى على تفكيك الخطاب بعمق وإعادة النظر إليه من زوايا مختلفة (عبد الله إبراهيم وآخرون، 1996، صفحة 144).

وعملية التفكيك ليست سهلة وهذا بتصريح من دريدا. نفسه إذ يعتبر التبسيط والاختزال عدو المنهجيات الحديثة، ولهذا يتسم نقد "دريدا" بأنه حفري غامض، وقد عبر عن التفكيك بأنه: "غياب ما هو خاص واللائتماء أي مطلب الاقتلاع وتأكيده الحقيقة المرتحلة..." (مجموعة من الباحثين، 1998، صفحة 96).

فالتفكيكية ترتبط أساساً بقراءة النصوص واستجوابها ولا يمكن أن لا يوجد مستقلاً كنظام مفاهيم قائمة بذاتها. ومنها فإن التفكيك يعتبر نشاطاً يتشكل من خلال النصوص.

2- القراءة التفكيكية عند جاك دريدا Jacques Derrida :

اعتبر دريدا كتابه "الصوت والظاهرة" من أهم مؤلفاته التي تبرز العلامات الكبرى التي تركز عليها التفكيكية، باعتبارها آليه لتفتيت النصوص وإعادة بناءها بطريقة تسير عكس منطلقاتها، إنه قراءة لتاريخ الفلسفة الميتافيزيقية من خلال التركيز بشكل خاص على فينومينولوجيا هوسرل، لقد تبين لدريدا أن صرامة التحليل الموسوم بالمعرفية الذي قام به هوسرل للخطاب بكل ما كان فيه من دقة وابتعاد عن الفكر المثالي كان يخفي رغم كل شيء افتراضا ميتافيزيقيا يتجسد في الحدس، ويضمّر فكرا وثوقيا ينقلب على صرامة تلك المعرفة نفسها (جاك دريدا ، الصوت والظاهرة ، 2005، صفحة 27).

حاول دريدا إبراز الخلفية الحدسية لفكر هوسرل من خلال بيان الكيفية التي كان يتصور بها فعل الدلالة المنبثق عن العبارة Expression، أي عن الصوت voix، فالعبارة وإن كانت إخراجا للمعنى فإن هذا الإخراج لا يبرح الذات نفسها، فهو موجود أصلا فيها، والخارج هنا لا علاقة له بالطبيعة ولا بالعالم ولا بأي شيء موجود بعيدا عن الوعي، إنه إذا صح التعبير مدلول يخرج من نفسه ويقع في باحة العبارة ذاتها، والمسألة شبيهة هنا إلى حد كبير بمفهوم المتلقي الضمني، الذي يفترض وجوده بالضرورة في أي خطاب ذاتي، على أن صوت الذات هو عبارة الخطاب بحد ذاتها، باعتبار أنها إرادة قاصدة تهب للمعنى بعده الروحاني حسب تعبير هوسرل (جاك دريدا ، الصوت والظاهرة ، 2005، صفحة 67) .

و بغض النظر عن أن القراءة التي قام بها دريدا للفكر الغربي كانت انتقادية، فإن فينومينولوجيا هوسرل ساهمت وسمحت مع ذلك في بلورة الآليات المعتمدة في التفكيكية، فقد استفاد دريدا منها في صياغة مفهوم الاختلاف Différence وهو أحد أهم مصطلحاتها، كما استفاد من جملة من الفلاسفة والباحثين وعلى رأسهم هايدغر وفوكو Michel Foucault وجيل دولوز Gilles Deleuze (جاك دريدا ، الصوت والظاهرة ، 2005، الصفحات 9-10) كما هو معلوم فأفكار هوسرل بالخصوص كانت قد ساهمت قبل ذلك وأثناءه أيضاً في تزويد نظريات التأويل الأدبي ونظريات القراءة بالخلفية الفلسفية التي أعادت النظر في سلطة الذات في الكتابة وفي مفهوم القصديّة علماً بأن المدلول الظاهر لفلسفة هوسرل بدا متجهاً نحو تحرير اللغة من هذه السلطة، وهنا تكمن المفارقة التي يستغلها الفكر التفكيكي من أجل إظهار أن الفينومينولوجيا تعاكس نفسها رغم نتائجها المبهرة في مجالي القراءة والتأويل الأدبيين.

اعترف دريدا أنه استفاد كثيرا من هايدغر، إذ يرى أنه لم يكن في وسعه، أن يجعل مشروعه ممكنا، لولا اهتمامه بما كان يطلق عليه هايدغر "المغايرة بين الكائن والكيونة، أي بين ما هو وجودي وما هو لاهوتي،

ويكاد دريدا يشبه حالة هايدغر Heidegger بحالة هوسرل الذي أراد هو أيضا أن يقوض النسق الميتافيزيقي دون أن يتمكن تماما من الخروج الكلي عن نسق الميتافيزيكا" (جاك دريدا ، مواقع وحوارات ، 1988 ، الصفحات 15-16).

إن انتقاد البنيوية وجعلها تترد - رغم كل المظاهر العقلانية والعلمية التي اعتمدتها - إلى تصور ميتافيزيقي. وتجريدي لم يمنع دريدا مع ذلك من القول بضرورة تبني المبدأ البنيوي في ممارسة التفكيكية للنصوص، إلى الحدث الذي نستطيع معه القول بأنه رسم أحيانا للنص والخطاب مظاهر بنيوية وسميائية وتناصية تكاد تكون واضحة المعالم، "فسواء كان الأمر متعلقا بالخطاب الشفوي أو المكتوب، فإن أي عنصر لا يمكنه أن يشتغل كدليل دون الإحالة إلى عنصر آخر لا يكون هو نفسه حاضراً حضوراً بسيطاً، هذا التسلسل يجعل من كل عنصر (وحدة صوتية كان أو خطية) متكوناً انطلاقاً مما يوجد فيه من العناصر الأخرى من السلسلة أو النسق. إن هذا التسلسل أو النسيج هو النص الذي لا ينتج نفسه إلا من خلال تحويل نص آخر، ففي العناصر والنسق لا شيء يكون أبداً عدماً أو حضوراً أو غياباً بسيطاً إذ لا وجود كلية إلا للاختلافات ولآثار الآثار" (جاك دريدا ، الصوت والظاهرة ، 2005 ، صفحة 19).

و يبدو أن علاقة دريدا بالفكر الفلسفي السابق والمعاصر له لم تكن هي العلاقة الوحيدة في مجال اهتمامه، فقد ناقش أيضاً الاتجاهات الأدبية والمناهج المختلفة وخاصة التحليل النفسي والبنيوية، ويمثل كتابه "الكتابة والاختلاف" أهم مؤلف ناقش فيه هذا المنهج الأخير الواسع الانتشار فقد نظر دريدا إلى البنيوية التي اكتسحت جميع مجالات البحث، باعتبارها مغامرة متقدمة في دراسة اللغة من حيث زاوية النظر وطبيعة وضع الأسئلة بالنسبة لجميع الموضوعات ومن ضمنها هذا الشيء البالغ الغرابة وهو الأدب (جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، د.ت، صفحة 131).

يتوسل دريدا في الحديث عن البنيوية بلغة نقدية شعرية لنقل الحالة التي كانت عليها عندما اكتشفت قيمة إدراك وفهم الشكل الأدبي، رغم اعتقاده أن النقد الأدبي في كل عصر كان بمعنى من المعاني بنيويًا، ولعله يلمح هنا إلى اتصال الدراسات الأدبية القديمة الضروري بعلم البلاغة والمنطق والنحو، ومع ذلك لم يكن النقد القديم في تصوره قادراً على الانفصال عن المحددات القبلية الذاتية والميتافيزيقية، لذا فقد أدرك النقد حديثاً فقط أن عليه الاهتمام بالبنية في ذاتها بعيداً عن الجواهر القبلية، يقول دريدا في هذا الصدد: "هكذا نفهم هذه النوتة العميقة، هذا النغم المكتئب الذي يشف عن نفسه في صرخات الانتصار والحذف التقني أو البراعة الرياضية التي ترافق أحيانا بعض التحليلات المدعوة بالبنيوية" (جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، د.ت، صفحة 9)،

فتصوره هنا المرتبط بوجهة نظره للبنىوية يجعلها تبرز البنيات وترسمها أثناء تحييدها للمعنى وكأنها " معمار مدينة غير أهلة عصفت بها عاصفة واختزلتها كارثة طبيعية أو فنية إلى هيكلها وحده " (جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، د.ت، صفحة 11). ويلاحظ دريدا أن الاهتمام بالشكل وإبعاد الموضوعات، أي إبعاد أثر الكلام والمؤلفين لم يجعل البنوية في مأمن من الوقوع في الميتافيزيقا، ويشير في البداية إلى أن اضطراب البنوية للحديث عن المنظور الكلي المنظم للعلاقات القائمة بين جميع العناصر الشكلية داخل النصوص، والمنظور في نظره له طبيعة تساؤلية وكليانية، يفتح المجال للحديث عن الأصل المنظم الغامض. (جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، د.ت، صفحة 136)

ومن خلال نظرة استقرائية لكتابات دريدا يبدو مفهوم التفكيك على انه عملية يمكن بها فك الارتباط مع العناصر المختلفة في داخل النص الأدبي، وذلك من أجل إعادة تكوينها لاكتشاف ممرات جديدة في ترسبات المعاني التي تحتويها طبقات النص.

يمثل التفكيك مرحلة من مراحل جدل المنهجيات وصراعاها في العصر الحديث فإذا كانت المناهج النقدية المعاصرة تطمح إلى تقديم براهين ونظريات متماسكة لحل الإشكال في عملية وصف الخطاب أو الاقتراب إلى مبناه، فان التفكيك يبذر الشك في مثل هذه البراهين، ويقوض أركانها ويرسي على النقيض من ذلك دعائم الشك في كل شيء، فليس ثمة يقين. ويكمن هدفه الأساسي في تصديق بنية الخطاب مهما كان جنسه ونوعه، وتفحص ما تخفيه تلك البنية من شبكة دلالية. فهو من هذه الناحية ثورة على الوصفية البنوية، وهو يذهب إلى أن لا ضابط قبل التفكيك ولا ضابط في ظله، فهو رحلة شاقة بل مغامرة محفوفة بالمخاطر ولا يتوفر لها أدنى عامل من عوامل الأمان، في أودية الدلالة وشعابها دون معرفة، دون دليل، دون ضوابط واضحة. وكشوفاته ذاتية فردية، لا غيرية، جماعية، حلقة الدلالة، وتعويم المدلول المقترن بنمط ما من القراءة، أي استحضار المغيب ... (العراي لخضر، 2007، صفحة 185).

التفكيكية نشاط فكري، ونوع من التفكير في الأدب يرى أن التمييز بين النقد والأدب ليس سوى مجرد وهم لا أكثر. تحاول التفكيكية توضيح الحقيقة التي مفادها أن أي تغيير جذري في الفكر التفسيري لا بد أن يلقى مصاعب سخافته ومنافاته للعقل.

وتعمل التفكيكية بطريقة طائشة مستهترة، إذ أنها تعطل وتعلق كل ما نأخذه قضية مسلما بها في كل اللغة، وفي تجربة التواصل الإنساني واحتمالاتها المعتادة، وليس معنى ذلك أن نقول : بأن التفكيكية ما هي إلا نوع من الفلسفة الهامشية العجيبة، أو أنها الرياضة المعاكسة لتلك الأذهان بالغة الغموض التي تحررت من النقد الأدبي المبتذل. فالتفكيكية هي النقيض تماما لكل ما ينبغي أن يكونه النقد، تتحدى تلك الفكرة القائلة بأن النقد إنما يعطي نوعا خاصا من المعرفة، أو على وجه الدقة طالما لا ترقى نصوص النقد إلى المستوى الأدبي، فعالم التفكيكية يرى أن النقد، شأنه شأن الفلسفة، نشاط من نشاطات الكتابة. (كريستوفر نوريس، د.ت، الصفحات 14-15)

وفي حوار نشرته مجلة الفكر العربي المعاصر، يعرف دريدا التفكيكية بقوله : " إن التفكيك هو حركة بنائية وضد البنائية في الآن نفسه. فنحن نفكك بناء أو حادث مصطنع لنبرز بنياته، أضلاعه أو هيكله كما قلت، ولكن نفكك في آن معا البنية التي لا تفسر شيء، فهي ليس مركزا، ولا مبدأ ولا قوة، أو مبدأ الأحداث بالمعنى الكامل، فالتفكيك من حيث الماهية بالقول عنه أنه طريقة "حصر البسيط" أو تحليل انه يذهب ابعد من القرار النقدي، من الفكر النقدي، لهذا فهو ليس سلبيا مع انه فسر كذلك على الرغم من كل الاحتياطات " (كريستيان ديكان، 1982، صفحة 24).

ويرفض جاك دريدا في مجمل كتاباته وضع حدود فاصلة، بين العلوم، وهو لا يميل إلا إعطاء الفلسفة وضعاً متميزاً تحتكر بموجبه كل ما يتصل بالعقلانية. وفوق هذا وذاك فإن التفكيكية تستهدف، بحسب مفهوم دريدا، إزالة الوهم السائد في الميتافيزيقيا الغربية بأن العقل قد يستغني عن اللغة ويصل إلى الحقيقة الصافية عن طريق التحقق الذاتي. كما أن إسهامات أصحاب هذا الاتجاه تخلخل مفهوم التفسير التقليدي الذي يستهدف الكشف عن دوافع المؤلف. (يوسف نور عوض، د.ت، صفحة 48)

إن القراءة التفكيكية " قراءة مزدوجة فهي تصف الطرق التي تضع بواسطتها المقولات التي تقوم عليها أفكار النص المحلل وتضعها موضع تساؤل، وتستخدم نظام الأفكار التي يسعى النص في نطاقها بالاختلافات وبقية المركبات لتضع اتساق ذلك النظام موضع تساؤل " (فضل، 2001، صفحة 108). أو بعبارة أخرى يمكن القول بأن التفكيك " استراتيجية مزدوجة فهو من ناحية يكشف ويعري المقولة العقلانية التي يركز عليها النص، وهو من ناحية أخرى يلفت النظر إلى لغة النص، وإلى مكوناتها البلاغية ومحسناتها البديعية ويشير إلى

وجود النص في شبكة من العلاقات النصانية والدوال حيث لا يمكن بأي حال من الأحوال الركون إلى معنى نهائي " (عوض، د ت، صفحة 48).

أسس التفكيكية ومقولاتها:

1- الاختلاف: يشرح دريدا مفهوم الاختلاف في إطار كلامه عن الصوت والظاهرة في الفينومينولوجيا لدى هايدغر، اعتمادا على الفارق الأساسي بين حالتين متعارضتين، لكنهما في نفس الوقت متكاملتين، بحيث لا يمكن أن تستغني الواحدة منهما عن الأخرى، فالصوت مثلا في حاجة إلى الصمت أي إلى نقيض الصوت، وهذا في حد ذاته إشارة إلى ضرورة اللاذات، أي إلى ضرورة الغياب لتأكيد الحضور الذاتي، وهكذا فالذات محتاجة لإثبات حضورها بوجود غيابها أيضا، إنها إذن تعيش على الدوام حالة اختلاف دائم عن نفسها كلما أرادت أن تثبت حضورها . (جاك دريدا ، الصوت والظاهرة ، 2005، صفحة 19) وقد نظر إلى الصوت دائما في الميتافيزيقا على انه تعبير خالص عن الحضور الكلي للذات من أجل ذاتها بمعنى أن الصوت ليس في حاجة إلى الصمت لإثبات حضوره، ولهذا السبب قيل بان الصوت هو ذلك الدليل الأصلي الذي يتمتع بالشرف الفينومينولوجي الدال على حضور الذات لذاتها انه يعبر عن بنية الدال الباطني المحض (سامية راجح، 2009، الصفحات 59-60)، وقد جاءت التفكيكية بمفهوم الاختلاف لتبين بطلان هذا الزعم الميتافيزيقي حسب تصور دريدا. ويمكن أن نلاحظ معظم مصطلحات التفكيكية تدور حول هذه النقطة المتعلقة بالثنائيات الضدية، مع محاولات خلخلة فكرة التعارف القائم بينها من اجل إظهار زيفها إن لم نقول الدعوة إلى إلغائها .

إن التعدد في الدلالات وانسيابية التأويل في النصوص الإبداعية هي تقنية جديدة في إطار نظريات القراءة والتلقي، وقد سعى النقد التفكيكي إلى التركيز على مبدأ الاختلاف بين القارئ والمؤلف والاختلاف أيضا بين القارئ والنص وبين قارئ وآخر، هذا الذي سيعطي مجالا واسعا لتوالد معاني النص ودلالاته . والدلالة بهذا المعنى مرتبطة بالآخر الغائب " العالم الغائب"، الذي ينفلت دائما ولا يمكن الإمساك به من قبل الناقد المعاصر، مما يحفز القارئ دوما على مواصلة البحث عن الدلالة الغائبة، هذا الذي يدل بعينه على الاختلاف. (بسام قطوس، 2006، صفحة 154)

إن سعي التفكيكية إلى نقد مقولة التمرکز حول العقل وتحطيمها لأنها تمثل حضورا لا متناهيا، وبذلك " يتحول كل شيء إلى خطاب وتذوب الدلالة المركزية أو الأصلية المفترضة وينفتح الخطاب على أفق

المستقبل دون ما ضوابط مسبقة، وتتحول قوته بفعل الاختلاف إلى غياب للدلالة المتعالية وإلى تخصيص للدلالة المحتملة " (محمد بلوحي، 2002، الصفحات 123-124).

2- **التمركز حول العقل:** يشتق دريدا مصطلح " تركز حول العقل" الذي لا يقل أهمية عن مصطلح "الاختلاف" في النظر إلى الخطابات الفلسفية. ومصطلح التمرکز حول العقل، لفظة يونانية تعني الكلام أو المنطق أو العقل. ويعني دريدا بهذا المصطلح انه تعيين الوجود بوصفه حضورا بكل ما تعنيه الكلمة ولهذا حاول دريدا بوساطة مقولة " تركز حول العقل" تحطيم تلك " المركزية المعينة وجوديا بوصفها حضورا لا متناهيا، جاعلا من هذه المقولة دليلا لنقد مفاهيم التمرکز، وهادفا إلى معاناة نظم المقولات المتعددة على الحضور، ويدعو إلى ضرورة التفكير بعدم وجود مركز، فالمرکز لا يمكن لمسه في شكل الوجود، بل ليس له خاصية مكانية، كما أنه ليس مثبتا موضوعيا، بل وظيفيا، انه في حقيقة الأمر، نوع من اللامكان، وبغيابه، أو تقويضه، يتحول كل شيء إلى خطاب وتذوب الدلالة المركزية أو الأصلية المفتوحة أو المتعالية. (محمد بلوحي، 2002، الصفحات 123-124)

3- **علم الكتابة:** بالإضافة إلى المفاهيم السابقة يجترح دريدا مصطلح " علم الكتابة" أو ما يعرف "الغراماتولوجيا" من منظور دريدا ما هو في حقيقة أمره " دعوة لإعادة النظر الجدية في دور الكتابة، لا بوصفها غطاء للكلام المنطوق، إنما بوصفها كيان ذا خصوصية وتميز.

إن الغراماتولوجيا التي يدعو دريدا إليها لا تعيد إنتاج واقع خارج نفسها، كما أنها لا تختزله، وبهذه الحرية الجديدة يمكن أن نراها على أنها السبب في ظهور واقع جديد إلى الوجود. ولكن ما جدوى تمسك دريدا بالكتابة إلى هذا الحد؟ يجيب عن ذلك selden مؤكدا أن العلامة المكتوبة حسب دريدا تتميز بالخصائص الآتية: إنها أولا بوصفها علامة مكتوبة، يمكن أن تتكرر رغم غياب سياقها، وإنها ثانيا قادرة أن تحطم سياقها الحقيقي وتقرأ ضمن أنظمة سياقات جديدة بوصفها علامة في خطابات أخرى، وأنها ثالثا تكون فضاء للمعنى بوجهين، الأول قابليتها للانتقال إلى سلسلة جديدة من العلامات، و الثاني قدرتها على الانتقال من مرجع حاصر إلى آخر وهذه سمات خاصة بالكتابة لا يمكن للكلام أن يمتلكها. (العراي لخضر، 2007، صفحة 206) ومن منظور القراءة التفكيكية أن الخطاب ينتج باستمرار لا يتوقف بموت كاتبه، ولهذا يؤكد دريدا على الكتابة بدلا من الكلام.

4- **القراءة:** تعلي التفكيرية من قيمة القراءة، وترفع من شأنها بحيث تجعل السلطة الفعلية والحقيقية للقارئ لا للمبدع أو للكاتب ومن هنا، يستعين دريدا بمقولة "القراءة التي تعد من أهم مقولاته الأساسية التي أرست مفاهيم جديدة للغة والنص والدلالة. إن الأرضية الصلبة التي يستند إليها دريدا هي قراءته المتميزة للخطابات، ولهذا يحدد أفق قراءته قائلا: "أعتقد أنه من غير الممكن الانحياز داخل النص الأدبي، إن المحايثة أو الباطنية المحضة تقوم في نظري بالاحتماء داخل الحدود المقامة تاريخيا والتي تفترض مجموعا كاملا من العقود التاريخية المتعلقة بتأطير النص وتحديد وحدته وممتنه وضمانته القانونية وما إلى ذلك من تحديات اجتماعية- فضائية، يجب على الطبع على الأقل بصورة مؤقتة أن تتحرك داخل هذه الحدود لدفع القراءة المحايثة إلى أبعد ما يمكن، ولكنها لا تستطيع في رأي أن تكون راديكالية تماما، هذا شيء نابع من بنيات النص نفسه. (العراي لخضر، 2007، صفحة 206)

وخلاصة القول إن التفكيرية قتلت أحادية الدلالة ودعت إلى تشتت المعنى، وتعدد المعاني، وبذلك خلصت التفكيرية القراءة من الأحادية التي كانت سائدة في المناهج السابقة. كما أنها بدعوتها إلى موت المؤلف قد أسست لميلاد القارئ.

خاتمة:

تعرضت التفكيرية عند جاك دريدا للكثير من الانتقادات لها ولطبيعتها لافتقارها إلى البعد التاريخي حيث لجأت إلى إعادة تحليل النصوص القديمة دون أن تأخذ بحسبانها بعدها التاريخي وظروف إنتاجها التاريخية، فيظهر المفكك على أنه هادم للنص.

تعتمد إلى استخدام مصطلحات فلسفية جديدة وغير متداولة حتى يظهر المفكك بصورة الفاهم للنص والقادر على تفكيكه بشكل سليم، وإعادة صياغته من جديد، في حين أن أغلب المفاهيم التفكيرية مبهمة وغير واضحة تهدف إلى تدمير النص الأدبي بكامله وإعادة بنائه وفق رؤيتها، فتنتقد كافة المناهج وترفضها دون أن تقدم بديلا لها بشكل واضح.

إن اتساع سياسة التشكيك بكل شيء قادت إلى التشكيك بالكثير من الحقائق العلمية المثبت صحتها، إذ سمح المفككون لأنفسهم بإعادة صياغاتها بأسلوبهم، كما شككوا بلغة النص، إذ بحثوا في

النصوص الدينية ونقدتها فحملت التفكيكية في طياتها نزعة تدمية قوية لأي مقدس بعد تجاوزها لنصوص تاريخية مهمة.

قائمة المصادر والمراجع:

- العراقي لخضر. (2007). المدارس النقدية المعاصرة. دار الغرب للنشر والتوزيع، د.ط.
- بسام قطوس. (2006). المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ط1، الإسكندرية، مصر : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر .
- بشير تاويرت وسامية راجح (2009)، فلسفة النقد التفكيكي في الكتابات النقدية المعاصرة . عالم الكتب الحديث. الاردن..
- جاك دريدا . (1988). مواقع وحوارات، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، د.ط.
- جاك دريدا . (2005). الصوت والظاهرة، مدخل الى مسألة العلامة في فينومنولوجيا هوسرل، تر: فتحي انقزو، المركز الثقافي العربي، ط1 .
- جاك دريدا. (د.ت). الكتابة والاختلاف (المجلد الطبعة 2). (كاظم جهاد، المترجمون) دار توبقال للنشر .
- حميد لحميداني. (2012). الفكر النقدي الأدبي المعاصر: مناهج ونظريات ومواقف (المجلد الطبعة 2). مطبعة أنفو فاس - المغرب.
- صلاح فضل . (2001). مناهج النقد المعاصر، افريقيا الشرق، المغرب، د.ط .
- عبد الله إبراهيم وآخرون. (1996). معرفة الآخر (مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة) (المجلد 2). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- كريستوفر نوريس. (د.ت). التفكيكية النظرية والممارسة، تر: صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر الرياض، السعودية .
- كريستيان ديكان. (1982). حوار مع جاك دريدا، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددان 18 و19.

- مجموعة من الباحثين، (1998). لقاء مع جاك دريدا. (لغات وتفكيكيات في الثقافة العربية). تر: عبد الكبير الشرقاوي. دار توبقال للنشر. م1. الدار البيضاء/ المغرب.
- محمد بلوحي. (2002). الخطاب النقدي المعاصر. وهران، الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع-.
- يوسف نور عوض. (د.ت). نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط.